ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

# المنصور الموحدي وصلاح الدين الأيوبي: مسألة طلب المساعدة البحرية.

Al-Mansur Almohad And Salah Al-Din Al-Ayoubi: Calling For Marine Assistance

صص85-96

د. الطاهر قدوري
Dr. Tahar kadouri
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
وجدة، المملكة المغربية.
taharkaddouri@hotmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2018/05/14، تاريخ المراجعة: 2018/07/16، تاريخ القبول: 2018/09/12.

**ملخص:** نحاول في هذه الورقة مناقشة قضية على قدر كبير من الأهمية، وتتعلق بطلب المساعدة البحرية الذي تقدم به السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى سلطان المغرب المنصور الموحدي، وذلك من أجل تعاونهما بهدف محاصرة الحروب الصليبية، إن هذه المساعدة كانت محط دراسات عديدة، انتهت أغلبها بكيل التهم للخليفة الموحدي الذي رفض تقديم الدعم للأيوبيين، فكيف نفهم رفض المنصور الموحدي بعيدا عن توزيع التهم إلى هذا الطرف أو ذاك؟ وماهي الظروف التي كانت تمر منها الدولة الموحدية؟ وكيف نفهم المبررات التي اعتمدها المنصور الموحدي؟

**الكلمات المفتاحية:** المساعدة البحرية؛ صلاح الدين الأيوبي؛ المنصور الموحدي؛ الحروب الصليبية.

**Abstract:** This paper seeks to bring into discussion an issue of critical importance, which is the call for marine assistance from Salah al-Din al-Ayoubi to the Moroccan Sultan Al-Mansur Almohad in order to join efforts to besiege crusades. This assistance has been the focus of several studies which mainly aimed at levelling accusations against Almohad Caliph who refused to provide support to the Ayyubid. The question to be addressed is how to better understand Al-Mansura Almohad's refusal away from levelling accusations against one party or another. So, what circumstances were at play during the Almohad dynasty? And how can we comprehend the explanations provided by Al-Mansur Almohad?

**Key words :** Marine assistance; Salah al-Din al-Ayoubi; Sultan Al-Mansur Almohad**;** Crusades.

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 –2014

**مقدمة:** شكلت مسألة المساعدة البحرية التي طلبها صلاح الدين الأيوبي(532هـ-589هـ/1138م-1193م) من أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي (580هـ-595هـ/ 1184م-1199م) موضوعا خصبا للنقاش بين العديد من الدارسين الذين أولوه عناية خاصة بالدرس والفحص والنقد، فاختلفت النتائج التي وصلوا إليها باختلاف منطلقات كل واحد منهم،فما هي ظروف طلب هذه المساعدة؟ وهل استجاب المنصور لهذا الطلب؟ وكيف تناولت المصادر والدراسات الحديثة هذه القضية؟

ما كاد القرن 5هـ/11م يشرف على نهايته حتى دخل الجناح الشرقي من العالم الإسلامي فترة حرجة من تاريخه، تمثلت أساسا في الحروب الصليبية التي شنتها الدول المسيحية الأوروبية على بلاد الشام ومصر، مركزين على بيت المقدس، وتمكنوا من افتكاكه من أيدي المسلمين، وأقاموا عدة إمارات حصينة على سواحل بلاد الشام مستغلين التدهور الكبير الذي انتاب الخلافتين العباسية والفاطمية.

وما أن استطاع صلاح الدين الأيوبي الإمساك بزمام السلطة الفعلية في مصر، حتى أخذ على عاتقه ضرورة استرجاع بيت المقدس وحاول جهد المستطاع الوقوف في وجه الصليبيين، لكن واجهته مشكلة قلة السفن والمراكب المتنوعة التي تمكنه من إنجاز مهمته هذه، والحد من تحرشات الصليبيين الذين يتوفرون على قوة بحرية لا يستهان بها، خاصة من جانب المدن الإيطالية التي كانت مشاركتها في هذه الحروب فعالة، بل وحاسمة نظرا لما كانت تتوفر عليه من أساطيل مختلفة الأشكال وتمرس بالبحر وشؤونه، فضلا عن العلاقات التجارية التي كانت تقيمها مع بلاد الشام ومعرفتهم بالمراسي الجنوبية للبحر المتوسطية.

وفي هذه الظروف، وأمام شدة وطأة الحملات الصليبية على بلاد الشام لم يجد صلاح الدين الأيوبي بدا من طلب العون البحري من يعقوب المنصور خليفة الموحدين في الغرب الإسلامي، ولعل النشاط البحري للأساطيل الموحدية في الحوض الغربي من المتوسط كان له أثر كبير في بلاد المشرق الإسلامي، خاصة وأن عدةسفنه تجاوزتالأربعمائة قطعة، استطاعت الدولة الموحدية أن تؤمن بها ثغور بلاد المغرب وجزيرة الأندلس، وتضمن نوعا من المراقبة لعملية الإبحار في مياه البحر المتوسط لا سيما سواحله الجنوبية، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، قد تعودللشهرة التي بلغها

البحار المغربي وما عرف عنه من بسالة واستماتة في مواجهة العدوان الصليبي على بلاد الشام، فاضطر صلاح الدين إلى الاستعانة بعناصر متمرسة بالبحر والقتال البحري، وقد كان لشدة بأس المغاربة على الصليبيين أن توترت العلاقة المغربية الصليبية، خاصة من جانب الصقليين الذين كانوا لا يتوانون عن مضايقة المغاربة القاصدين إلى الديار المقدسة.

واعترافا بالجميل فقد خصص **نور الدين الشهيد**[1] أموالا مهمة لافتداء الأسرى المغاربة دون غيرهم "**وإن من جميل صنع الله تعالى لأسرى المغاربة في هذه البلاد الشامية الإفرنجية أن كل من يخرج من ماله وصية من المسلمين بهذه الجهات الشامية وسواها أن يعينها في افتكاك المغاربة خاصة، فملوك هذه الجهات من المسلمين والخواتين (السيدات) من النساء وأهل اليسار والثراء إنما ينفقون أموالهم في هذا السبيل...وقد قيض الله للمغاربة بدمشق رجلين من مياسر التجار وكبرائهم وأغنيائهم المنعمين في الثراء أحدهما يعرف بنصر بن قوام والثاني بابن الدر ياقوت...وقد نصبهما الله لافتكاك الأسرى المغربيين بأموالهم وأموال ذوي الوصايا لأنهما المقصودان بها لمن اشتهر من أمانتهما وبذلهما أموالا في هذا السبيل...**"[2].

ويطلعنا عبد الهادي التازي برواية على قدر كبير من الأهمية مفادها أن أحد الأطباء اليهود ويدعى **موسى بن ميمون** وكان قد أقام في الأندلس والمغرب ثم رحل إلى مصر وهناك أخذ يعمل ضمن حاشية السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد يكون هذا الطبيب هو الذي نبه صلاح الدين إلى القوة البحرية التي يمتلكها الموحدون، فحثه على طلب المساعدة[3].

وقد استند العديد من المؤرخين على طلب المساعدة هذه لتفسير اختصاص الموحدين بالبحرية وقوة أساطيلهم[4]، إلا أنه إذا كان طلب المساعدة أمرا واقعا، فكيف تعاملت معه المصادر القريبة من الفترة؟

بالنسبة للروايات المشرقية فإن أشهرها رواية **أبي شامة والقلقشندي**. ونلاحظ في البداية أن **المقريزي**[5] الذي أرخ لبني أيوب عبر صفحات عديدة و تتبع تحركات **شرف الدين قراقوش** في إقليمي طرابلس وإفريقية، والقلاقل التي أثارها واصطداماته

بالموحدين، فإنه لم يشر إلى سفارة صلاح الدين إلى المنصور الموحدي، ولم يرد أي حديث عن تلك المساعدة التي طلبها الأيوبيون من الموحدين، لهذا يبقى سندنا لدراسة هذه القضية مصنفا **القلقشندي وأبي شامة**، على أن المعلومات التي أوردها أبو شامة من حيث تسلسلها الكرونولوجي تبقى على قدر كبير من الأهمية، إذ يورد أن السفير الأيوبي أقلع من الإسكندرية يوم ثالث عشر رمضان 586هـ/1190م ووصل إلى طرابلس في الخامس والعشرين من رمضان، وأقام بها حتى الثامن من ذي القعدة ليتوجه بعد ذلك إلى المغرب الأقصى، فاجتمع بالوزير **أبي يحيى بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ أبي حفص**، وسلم له كتاب السلطان صلاح الدين يوم الخميس سابع ذي الحجة، وبعد ذلك كان دخوله على الخليفة يعقوب المنصور في العشرين من ذي الحجة، ثم كان انفصاله من مراكش في العاشر من محرم سنة 588هـ/1192م، ووصل إلى الإسكندرية في جمادى الآخرة سنة 588هـ/1192م[6].

ويذكر ابن عذاري أن زيارة السفير الأيوبي كانت في سنة 586هـ/1190م إلا أنه يختلف مع أبي شامة بشأن الشهر الذي تمت فيه هذه السفارة فيجعلها في رجب وليس في رمضان[7]، أما ابن خلدون فيحدد تاريخ هذه الزيارة في عام 585هـ/1189-1190م دون ذكر الشهر[8].

ومن خلال تتبعنا لهذه التواريخ يتضح أن المنصور الموحدي كان خلال هذه المدة أي سنة 586هـ/1190م مرابطا في الأندلس، ويشرف على الحركة العامة التي وجهها إلى غرب الأندلس لمواجهة البرتغاليين بقيادة **ابن الرنك**[9]، فتوالت الرسائل من السيد **أبي زيد** والي إفريقية والسيد **أبي الحسن** والي بجاية على المنصور يعلمانه بوصول الرسول الأيوبي إليهم وما قابلوه به من استقبال وأن **ابن منقد** لم يبح لهم بما يمكن أن يكشف سره،[10] فراسل المنصور ولاته بالمغرب "**فروجع السادات بالشكر على ما قابلوه به من الإكرام، وأن لا يبحث عن شيء من الاستفهام، ثم قدمت المخاطبات إلى من بالمغرب من الولاة والعمال بالتوسعة له في نزله والاحتفال به**"[11].

أما بخصوص الرواية المغربية فإنها ركزت على ما كانت تعرفه بلاد الشام من تكالب النصارى عليها والصراعات التي دارت بين صلاح الدين الأيوبي والقوات

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الصليبية، كما أنها تطرقت إلى سفارة ابن منقد واستعراضها للأبيات الشعرية التي مدح بها المنصور الموحدي.

سأشكـــر بحـرا ذا عبـاب قطعته إلى بحر جود ما لأخراه ساحـل
إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى إلى من سمت بالذكر منه الأوائل
إليـك أمـير المـؤمنيـن ولـم تـزل إلى بابك المأمول تزجي الرواحل
**قطعت إليه البـــر والبحر موقنا بأن لداك الغمر بالنجع كافـــل**
**وحـــزت بقصيدك العـلا فبلغتها أدنى عطاياك العلا و الفواضل**
**فـلا زلت للعليـاء والجـود بانيـا تبلغك الآمـال مـا أنت آمـل**[12]

فهذه القصيدة التي أوردها المقري التلمساني تجاوزت الأربعين بيتا، إلا أنه لم يذكر منها سوى ستة أبيات، ويلاحظ أن الرواية المغربية تتميز عن نظيرتها المشرقية بعرضها نتيجة السفارة والتي أجمعت على أنها كانت دون طائل، فقد احتفظ المنصور للسفير بمكانته بل وبالغ في إكرامه خاصة بعد سماعه لقصيدة ابن منقد، فأجزل له العطاء: كل بيت بألف دينار "**أفيض عليه من النوال الغمر والإحسان، وضروب من النعيم السابغة والامتنان، وقوبلت هداياه من العوض في نفاسة الأشخاص والأثمان، وانصرف إلى بلاده وقد رأى ورعى في طريقه وفي مدة إقامته ما علم أن بالمغرب ملك الإسلام ومقر الإيمان**"[13].

هذا، فضلا عن الهدايا الفاخرة التي ذكرتها المصادر المغربية وتشمل مصحفين كريمين منسوبين، ومائة درهم **من دهن البلسان**[14]، وعشرين رطلا من العود، وستمائة مثقال من المسك، والعنبر وخمسين قوسا عربية بأوتارها، وعشرين من النصول الهندية وسروج عدة ثقيلة [15].

إلا أن الأساسي في هذه السفارة كانت هي النتيجة التي آلت إليها، حيث أشارت أغلب الروايات التاريخية أنها لم تحقق ما كان يأمله الأيوبيون منها، فرجع السفير خاوي الوفاض باستثناء هديته[16]، وينفرد ابن خلدون برواية مفادها أن المنصور جهز أسطولا عدته مائة وثمانين وحدة بحرية وأمد بها صلاح الدين[17]، إلا أن ابن خلدون نفسه لم يكن مطمئنا لهذه الرواية، حيث يذكر في النص نفسه أنه "**اعتذر**

**له عن الأسطول وانصرف ويقال أنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولا، ومنع النصارى من سواحل الشام،والله تعالى أعلم**" [18].

لقد أدت نتيجة هذه السفارة إلى اختلاف واضح بين الدارسين، بين من حاول أن يجد للمنصور الموحدي مبررا يتناسب ومكانته بين ملوك المسلمين، وبين من حاول أن يرجح أن المنصور ساعد صلاح الدين ولكن بطريقة غير مباشرة، وبين من عبر عن خيبة أمل المسلمين الذين كانوا يطمحون إلى تكوين جبهة إسلامية موحدة على غرار الجبهة الصليبية الموحدة، إلا أننا نعتقد أن أي تفسير أو محاولة بحث عن تبرير لموقف المنصور لا يأخذ بعين الاعتبار الظروف التاريخية التي كان يمر بها المغرب، والدول الإسلاميةعموما والتي كانت في حرب مفتوحة على عدة جبهات مع الأمم النصرانية، تبقى تفسيرات تراوح مكانها ولن تؤدي إلا إلى نتائج سطحية، بل وفي بعض الأحيان عكسية لا تعضدها روايات تاريخية وإنما تؤطرها انطباعات ورغبات شخصية.

وقد فضل بعض الدارسين الوقوف عند قضية الألقاب، ورجحوا أن إحجام السلطان الأيوبي عن نعت المنصور بأمير المؤمنين كان السبب الرئيسي في عدم تلبية داعي الجهاد الذي نادى به الأيوبيون، وكان سندهم في ذلك الرسالة التي أوردها أبو شامة والتي ذكر فيها "**أنه عز عليهم كونه لم يخاطب بأمير المؤمنين على جاري عادتهم**"[19]، إلا أن هذا الطرح لم يسايره العديد من الدارسين الذين صعب عليهم استساغة أن رفض المنصور كان بسبب عدم نعته بأمير المؤمنين[20]، والموقف جلل يقتضي تجاوز هذه النرجسية والنظر إلى ما يمكن أن يوحد الأمة ويجعلها يدا واحدة على أعدائها المتربصين بها.

إلا أنه، وما دامت الرواية قائمة ولا يمكن نفيها إلا برواية أخرى، فإنه لا يسعنا إلا أن نأخذها بعين الاعتبار، وذلك بالنظر لقوة الألقاب ودلالتها الحضارية بل وحتى النفسية التي كان يتسمى بها السلاطين والتي كانت تحدد وتكشف عن توجهاتهم، وطموحاتهم المجالية، وسلاطين المغرب وحتى عهد المرابطين (434-541هـ/1042-1147م) كانوا حريصين على أن يظلوا تابعين للخلافة بالمشرق، بل واعتبروا أنفسهم

خداما لها، وحتى من حاول الانفصال عن المشرق، فإنه ظل يحتفظ بذلك الخيط الرفيع الذي يربطه بآل البيت أو إحدى القبائل العربية.

وهكذا، فقد كان النسب والشرف من الأمور الأساسية التي يشرف بها الشخص أو يوضع، **والموحدون** (541-668هـ/1125- 1269م) ومنذ أن أخذت طلائعهم الأولى تخوض نزاعاتها مع المرابطين حتى اعتبروا أنفسهم أحق بعرش المغرب بل والعالم الإسلامي، لهذا اتخذوا لقبا ضاهوا به الخلفاء في المشرق، فتسموا بأمير المؤمنين، وهو ما يدل على تحد واضح للخلافة العباسية بالمشرق[21]، وما دام الأمر كذلك، فهل كان يقبل من الأيوبيين الذين يدينون بالطاعة للخلافة العباسية، أن ينعتوا أحدا غير الخليفة العباسي بأمير المؤمنين، إنهم وإن فعلوا ذلك فسيكونون قد أعلنوا رسميا اعترافهم بشرعية الخلافة الموحدية، وبالمقابل فالسفير الأيوبي عبد الكريم بن منقد وإبان مدحه للمنصور فإنه يورد إشارة على قدر كبير من الأهمية، يعلن فيها تسمية المنصور بأمير المؤمنين:

**إليك أمير المؤمنين ولم تزل إلى بابك المأمول تزجي الرواحل**[22]

إلا أن تسمية السفير للمنصور بأمير المؤمنين تبقى شيئا شخصيا متعلقا بالسفير وما أحيط به من رعاية واستقبال، فكان لا بد أن يقدم مقابل ما تلقى شعرا(مدحا)، لهذا فموقف ابن منقذ لا يعدو أن يكون موقف شاعر يحرص على إرضاء ممدوحه فيلبسه أزهى الحلل و أحسنها، وهو بذلك يضمر ما لا يستطيع البوح به.

وبالمقابل تذهب إحدى الدارسات[23]، وفي إطار استبعادها للعامل النفسي والمذهبي، أن العامل السياسي والاقتصادي هو الباعث الأساس لعدم تلبية المنصور لطلب صلاح الدين، خاصة وأن صنيع الأيوبيين **قراقوش** المتحالف مع **بني غانية**[24] قد سيطر على منطقة الجريد التي كانت منفذا للتجارة الصحراوية، إلا أن أغلب الطرق التجارية الصحراوية كانت مراقبة من قبل الموحدين وبالأخص تلك التي كانت تربط **سجلماسة** بشمال المغرب وببلاد السودان، أو الخط الذي كان يربط بلاد **نول**[25] وبلاد السودان.

ردمد EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

أما بالنسبة للظروف السياسية فقد رأى فيها دارسون كثر، أنها كانت المسؤولة عن موقف المنصور من صلاح الدين، ترى ما هي هذه الظروف السياسية التي فعلت فعلتها هذه ولم تتمكن من تكوين جبهة إسلامية موحدة تجابه جبهة نصرانية موحدة؟

تتمثل هذه الظروف السياسية أساسا في الأحداث التي أثارها **بهاء الدين قراقوش**[26]،على الحدود الشرقية للدولة الموحدية والتي تضاعفت خطورتها بعد مجيء بني غانية إلى المغربين الوسط والأدنى والذين وجدوا في قراقوش والقبائل العربية خير حليف يمكنهم من مواجهة الموحدين.

وحول البدايات الأولى لقراقوش في بلاد المغرب فإنها ترجع إلى النصف الأخير من ق6هـ/12م، عندما تمكن الأيوبيون من حسم الصراع لصالحهم في مصر وأخذوا يرنون ببصرهم إلى بلاد المغرب والشام لكي يتمكنوا من إحكام السيطرة على بعض المواقع بهما، وذلك اتقاء لشر السلطان نور الدين صاحب السلطة الرسمية الذي كان يطالب بحكم مصر،[27] ولما تمكن شمس الدين من السيطرة على اليمن فإن أخاه تقي الدين أخبره أن قلعة **أزبرى**[28] على حدود بلاد المغرب متى تم تعميرها يسهل تملك برقة وما إليها[29].

ونتيجة لهذه الاستشارة فإن تقي الدين أرسل مملوكه بهاء الدين قراقوش على رأس وفد من الأجناد والمماليك، فأخذوا في عمارة قلعة أزبرى، وفي أثناء هذه الظروف فإن قراقوش داخل سكان المنطقة وتوطدت علاقته بهم حتى إذا استأنسوا به تقدم إليه رجل فأخذ يحدثه عن بلاد **الجريد**[30] **وفزان**[31] وما يزخران به من إمكانات اقتصادية، فتقوت أطماع قراقوش الذي نهض إلى هذه المناطق فدخلت أوجله في طاعته وارتفع له من جبايتها الثلث فأخذ لنفسه عشرة آلاف ووزع عشرين ألفا على باقي جنده ورجاله[32].

وهكذا، فإن الأيوبيين كانت أطماعهم في شرق الدولة الموحدية أمرا حاصلا، ويتضح من خلال الرسالة التي بعثها القاضي الفاضل إلى السلطان شمس الدين مدى الفتور الذي أصاب الحدود الشرقية للدولة الموحدية "وذلك أن بني عبد المؤمن قد اشتهر أن أمرهم قد أمر و ملكهم قد عمر وجيوشهم لا تطاق وأمرهم لا يشاق ونحن بحمد الله قد تملكنا ما يجاورنا منه بلادا تزيد مسافتها على شهر وسيرنا إليها عسكرا

بعد عسكر فرجع بنصر بعد نصر ومن بلاد المشاهير والأقاليم الجماهير برقة، وقفصة، وقسنطينة وتوزر، كل هذا تقام فيها الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين سلام الله عليه"[33].

إن هذه الرسالة تشير بشكل واضح إلى الصعوبات التي أصبحت تعيشها الدولة الموحدية في أطرافها، الأمر الذي يدل على بداية المشاكل التي أصبحت تطرح على الموحدين بشأن مراقبة أطراف دولتهم المترامية سيما في الشرق وفي الأندلس عند الجبهة النصرانية. وقد تعامل المنصور مع هذه الأحداث بما توجبه أمور السياسة، فقد اعتبر أن المشاكل التي أثارها قراقوش تمت بإيعاز من صلاح الدين أو على الأقل من قبل الأيوبيين[34]. ومن ثم فإن المنصور رفض تقديم المساعدة للأيوبيين من موقع ما فعل قراقوش، لكن هل كانت هذه الأحداث التي تسبب فيها قراقوش مهمة بالقدر الذي جعلت المنصور يرفض تقديم المساعدة لصلاح الدين؟ ألم يكن من الأجدر بالمنصور أن يخف لنجدة المسلمين الذين أصبحوا تحت طائلة الجبهة الصليبية الموحدة؟

إلا أن المنصور الموحدي كان أيضا في حرب مفتوحة مع نصارى شبه الجزيرة الإيبيرية، فهزيمة الموحدين أمام أسوار **شلب**[35] لا تزال ماثلة أمامه، وتكالب ملك البرتغال وملك قشتالة على المسلمين في الجزيرة أمرا واقعا، مما جعل المنصور يعد كل طاقاته العسكرية سواء البرية أو البحرية لحسم الصراع مع القوى النصرانية-الصليبية- التي كانت تهدد وجود المسلمين في الأندلس، وتسعى إلى طردهم من خلال تأجيج حرب الاسترداد. ومن هذا المنطلق، فهل يحق لنا أن نذهب مع أولئك الذين قالوا إن المنصور وفي إطار صراعه مع النصارى الإيبيريين، كان يقدم المساعدة والعون غير مباشرين لصلاح الدين[36].

لكن إذا كانت هذه الدراسات قد ركزت على المساعدة غير المباشرة، من المنصور إلى صلاح الدين، وهو ما يبدو مفهوما في بعض جوانبه، إلا أن الغموض يكتنف النشاط البحري الموحدي خاصة في هذه المرحلة. فهل فعلا كانت القوة البحرية الموحدية تراقب الإبحار في عرض الحوض الغربي من بحر الروم (المتوسط)؟ بمعنى هل كان الأسطول الموحدي بإمكانه أن يمنع السفن النصرانية الصليبية القادمة من

إنجلترا وفلندا والبرتغال...والمتجهة إلى بلاد الشام؟ ولعل في الحدث الذي سقطت من جرائه مدينة شلب خير دليل على هذا، إذ تمكن ابن الرنك من استمالة الأسطول الصليبي وجيوشه في عام 586هـ/1190م وأقنعهم بضرورة التعاون معه لمحاصرة هذه المدينة، وأن عملهم هذا سيكون مكملا للحروب التي ينوون خوضها تحت راية الصليب[37]، وإن هذا الحدث يطرح قضية مراقبة الموحدين لمضيق جبل الفتح- جبل طارق- الذي كان الممر الرئيسي للأساطيل القادمة من "المحيط الأطلنتي".

وأخيرا فإننا لا نرى ما ذهب إليه أحد الباحثين[38] الذي أرجع تسمية المنصور لولي عهده محمد الناصر (1199م-1212م) "تقديرا منه لصلاح الدين الأيوبي لقب ابنه ولي عهد بالناصر لدين الله" وذلك لأن لقب الناصر كان معروفا في المغرب والأندلس معا، كما أن ما ذهب إليه الباحث لا تعضده أي رواية تاريخية .

وبين كل هذه الروايات تبقى رواية ابن خلدون حاجزا منيعا أمام الباحثين، خاصة وأنها تحدثنا عن تجهيز المنصور لمائة وثمانين أسطولا بعثها لصلاح الدين، ورغم أن ابن خلدون نفسه لم يكن مطمئنا إليها، إلا أن الرواية التاريخية لا ترد إلا برواية تاريخية أخرى، ويبقى طلب المساعدة هذه دليلا على اختصاص الموحدين بالأسطول وقوة بحريتهم في الغرب المتوسطي التي نشطت في عدة دور للصناعة في: المهدية وتونس وصفاقس بإفريقية، وفي بجاية وجزائر بين مزغنة وهنين بالمغرب الأوسط، وفي سواحل الريف وسبتة وسلا بالمغرب الأقصى، وفي السواحل الجنوبية للأندلس.

وبين كل هذا وذاك، لا ينبغي أن نسقط في نوع من النرجسية و تمجيد الذات أو جلدها، نصرة لطرف على حساب طرف آخر، أو محاولة لي أعناق الروايات التاريخية وإخراجها عن قصدها لمحاولة تبرير موقف معين، لأن من شأن ذلك أن يؤسس لواقع منزلق يجعل من الوحدة بين الشعوب العربية أو الإسلامية أمرا مستحيلا، لذا لابد من أخذ الرواية التاريخية في سياقها الزماني والمكاني وتمحيص الظروف المحيطة بالحدث علنا نصل إلى بعض الحقيقة وليس كل الحقيقة.

## الهوامش:

1- نور الدين محمود زنكي الملقب بالشهيد، كان حاكما على دمشق ولد 511هـ وكانت وفاته في 569هـ، وكانت له أيام مشهودة مع الصليبيين.---- **2-** أبو الحسن ابن جبير،رحلة ابن جبير، مقدمة مصطفى زادة،د.ت، ص: 214 عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطبعة فضالة،المحمدية،1986. مجلد6، ص: 194 –.195

**3-** عبد الهادي التازي، نفسه، ص، 296. ---- **4-** الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي، أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل، بيروت، د .ت، ج1، ص، 231-232---**5-** كتاب الملوك لمعرفة دول الملوك، جزء1، قسم 1، تحقيق محمد محصني يازد، د. ت، ص، 60 وما بعدها---**6-**أبو شامة، م. س، ج2 ص، 173 –174، وجعلها "ابن عبد ربه الحفيد"،في رمضان 587، الاستبصار في عجائب الأمصار،تحقيق سعد زغلول عبد الحميد،الدار البيضاء.1985، ص، 107.

**7-** ابن عذاري، البيان المغرب...، **قسم الموحدين** ، حقيق جماعة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.1985 ، ص، .209

**8-** كتاب العبر...، ضبط المتن خليل شحاتة، مراجعة سهيل زكار، دار الكتب العلمية ، بيروت.1973 ج6، ص، .331

**9-** ابن الرنك: هو ألفونسو الأول حاكم البرتغال (1109م 1185م).---- **10-** ابن عذاري، قسم الموحدين، م. س، ص، .209

**11-**نفسه.---- **12-** المقري، نفح الطيب...، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت.1968، ج1، ص، 444 و445، الناصري،كناب الاستقصا...، تحيق.جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب، الدار البيضاء.1954، ج 2. ص.177-.178

**13-** البيان، م.س، ص، 209، ابن خلدون، ج6، م.س، ص، 310-311، المقدمة، ص، 198-200، نفح الطيب، ج 1، ص، 444، الاستقصاء، ج2، ص، 176-.177.---**14-** حول **دهن البلسان** يرجع ل: محمد حسن آل ياسين، معجم النبات والزراعة، الجزء 1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1986، ص 389."شجر كثير الورق يضرب إلى البياض شبيه بالسذاب في الرائحة، قيل أنه لا ينبت إلا بعين شمس ظاهر القاهرة واستنبت في وادي الحجاز .. وله حب يجعل في الدواء، ولحبه دهن حار يتنافس فيه" وللمزيد يرجع كذلك ل: لأبي خير الإشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق محمد العربي الخطابي، القسم الأول، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، د.ت، ص 104..وفي لسان العرب، البلسان شجر لحبه دهن حار يتنافس فيه نظرا لفوائده الصحية، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، 2003، ج2، ص. 141.--**15-** ابن خلدون، ج6، ص، 330-331، المقدمة، ص، 198، الاستقصا، م. س، ج 2، ص 176-177.----**16-** نفح الطيب، ج1، ص 445،444. كما تسمح رواية ابن عذري، في البيان، ص 209، من الاستنتاج نفسه " وانصرف إلى بلاده وقد رأى ووعى في طريقه وفي مدة إقامته ما علم أن بالمغرب ملك الإسلام ومقر الإيمان".---- **17-** كتاب العبر، م س ج6، ص، 330-331.---- **18-**نفسه.---- **19-**أبو شامة، م. س ،ج2، ص، 174.

**20-** عبد الهادي التازي، م. س، مج6، ص، 314، عبد الله عنان، ع 3، ص، 185 توفيق الطيبي، وقعتا حطين والأرك...،مجلة البحوث التاريخية،ليبيا،السنة 10،عدد.1،يناير.1988،ص،98، عبد الكريم كريم، صلاح الدين الأيوبي ويعقوب المنصور الموحدي،"مجلة التاريخ العربي"،عدد.1997،2، ص 22 ، ماجدة كريمي،آثار التجارة الصحراوية على المغرب،من الفرن5هـ11م إلى القرن8هـ/14م،رسالة مرقونة،كلية الآداب وجدة، صص،102-103-104، عبد الله السويسي،تاريخ رباط الفتح،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،سلسلة التاريخ 9، الرباط، 1979، ص23. H. Ferhat, Sabta des origine au XIVe,s.d,elmaarifjadida, p.199 199-200

**21-** حول ألقاب الخلفاء في المغرب الإسلامي يرجع ل:

-Levi Provençalle (E), « Le titre souverain- des Almoravides et sa Légitimation par le califat Abassi » , in ARABICA .2t. 1955/Max van Berchen , «Titres, Califiens d'Occident», in journal Asiatique, 1970./Rais Abdelahad , L'idée de réformes dans le message et l'action d'Ibn Toumert, Thèse de doctorat de 3ème cycle Université de Bordeaux III, 1989, Thèse dactylographie à la Faculté des Lettres de Oujda.

**22-** نفح الطيب، ج1،م.س، ص: 444-445- الاستقصاء، ج2زء،م.س، ص: 177-178.---- **23-** كريمي، م س، ص، 103-104.

**24-** حول بني غانية وبدايتهم وصراعاتهم مع الدولة الموحدية يرجع لعبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط7، الدار البيضاء 1978. ص385 وما بعدها.

**25-** نول: تمتد في صحراء شنقيط، من جنوب المغرب إلى موريتانيا حاليا، تسكنها عدة قبائل: لمتونة لمطة مسوفة، وهي الموطن الذي انطلقت منه الدولة المرابطية. وهي قاعدة السوس الأقصى حسب ابن خلدون، العبر، ج6، ص.77

**26-** قراقوش لفظ تركي معناه العقاب وهو اسم الطائر الجارح المعروف، مراجع الغناي، سقوط دولة الموحدين، ط2، بنغازي، 1981، ص187/عبد الواحد المراكشي، المعجب..، م.س، ص 414.---- **27-** مراجع الغناي،نفسه ، ص، ..288.

**28-**قلعة أزبري من إقليم برقة، يجعلها عبد الواحد المراكشي أخر بلاد الغرب الاسلامي في اتجاه المشرق، المعجب،م.س، ص.489

**29-** أبو شامة، ج1،م.س، ص، 260 ،المقريزي ، خطط المقريزي،كتبة الثقافة الدينية،القاهرة،ط2، 1987ج1،، ص، 60.

**30-** بلاد الجريد تضم منطقة قسطيلية وبلاد الزاب، المعجب،م.س، ص 501، وحاليا توجد بالجنوب الغربي لدولة تونس.

**31-** جنوب غرب ليبيا حاليا.---- **32-**أبو شامة، م.س، ص 260.---- **33-** أبو شامة ،نفسه، ص: 232.---- **34-** لا نجد في المصادر ما يفيد استنكار صلاح الدين لأعمال قراقوش وما فعله في إفريقية.---- **35-** شلب مدينة بجنوب البرتغال silves.

**36** - السوسي، م. س، ص: 23-.24. الجيلالي، تاريخ الجزائر، ط4،دار الثقافة،بيروت،1980، ج2، صك 19، محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس، ط3، مكتبة الغانجي،القاهرة.1998، ع 3، ق2، ص، 185، توفيق الطيبي وقعت ا الأرك وحطين، م. س، ص، 68، عبد العزيز سالم، "سياسة صلاح الدين الدفاعية عن مصر في البر ضد قوى الصليب"،مجلة التاريخ العربي، عدد2. 1997، ص30-31،بنميرة، جدلية والرباط في تاريخ المغرب،دعوة الحق،عدد354،السنة41،غشت شتمبر 2000، ص، 103. ---- **37-** ابن عذاري، ق. م، م.س، ص، 201-202، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني،بيروت.1967،ج3، ص،30، أشياخ يوسف،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين،ترجمة محمد عبد الله عنان،ط3،القاهرة.1996،ج2، ص، 79-80.---- **38-** ابن عذاري، ق. م، م.س، ص، 201-202، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني،بيروت.1967،ج3، ص،30، أشياخ يوسف،تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان،ط3،القاهرة.1996،ج2، ص، 79-80.